فلسفة الجسد عند ميشال فوكو

نعيمة بوشريط /طالبة دكتوراه – جامعة الجزائر2
إشراف: د. خديجة زتيلي /قسم فلسفة جامعة الجزائر2

Résumé

La philosophie du corps chez Michel FOUCAULT propose penser le corps pré_ sa philosophie qu'il s'agit La pensée Merleau-Pontienne s'intéresse à la vision du monde par l'artiste qui fait rapprochement de corporel et inter-corporel, travers la profondeur et l'action de son corps.

En effet, Foucault cherche à construire sa propre philosophie et son propre discours. Il pose une question philosophique et traite la sexualité liée à l'artériologie du savoir quand il produit le sexe, le désir, et le pouvoir à travers le corps de l'individu et le corps social quand la réflexion esthétique se confond avec sa réflexion philosophique. On a essayé mise en scène des structures du pouvoir par un jeu stratégique, capable de procurer un plaisir sexuel ou physique.

مدخل:

ان كل من العلم، الحرية الإنسانية، الروح، والنفس كلها تصورات قد حظيت باهتمام كبير وغير منقطع النظير من طرف الباحثين والدارسين والفلاسفة على حدّ سواء، لكن الأمر الغريب أنّ ذات الفكر قد غيّب في مباحثه الميتافيزيقية واللاهوتية والفلسفية فكرة الجسد، فقد كان البحث في الإنسان من نافذة الروح وحسب، وكان الأمر لا يتعدى تلك الحدود. وهكذا بقي الجسد يعاني تغييبا كلّيا وتهميشا منذ فلاسفة الإغريق مرورا بفلاسفة العصور الوسطى وصولا إلى الفلسفة الحديثة. أو لنقل أن الجسد قد حضي ببعض العناية والتناول والتصور في النصّ الأدبي الشعري منه أو النثري فقط، إلاّ أنّ موضوع الجسد على مستوى التحليل الفلسفي والفكري ظلّ على التخوم، وقد ارتبطت التصوّرات في هذا الموضوع بالخلفيات الدينية والعقائدية والإيديولوجية التي نأت به، نتيجة عن التناول الموضوعي.

إنّ طبيعة الجسد بوصفه كيانا أوليا متعدد الدلالات والوظائف، وهو يخترق بإلحاح مجموعة من المباحث والعلوم المختلفة من طب إلى علم الاجتماع، علم النفس، إلى الميثولوجيا... وإذا كان هذا الجسد مفهوما ثقافيا، فان قابلية التفكير الفلسفي النظري والتحليل العلمي والفكري له من شأنه أن يؤكد خصوبة البحث في هذا الموضوع وتعدّد مقارباته وثراء تحليلاته، ما يعني تفادي السقوط في أي نظرة دونية تجعله مدنسا أو تصنّفه في مرتبة دونية.

ان توظيف المصطلحات الفلسفية كمفهوم المعرفة، الجسد، السلطة، الجنس، سواء كانت وجودية او فينومينولوجيا او بنيوية فتصور الجسد تصبّ في إطار رفض المفاهيم الكلاسيكية عندهما : كيف فرض هذا الجسد حضوره في الأفكار الفلسفية والفنية من جلال الجسدانية و الجنسانية؟ وكيف استطاع ميشال فوكو العودة الى حفريات الجنس وما علاقتها بالجسد والموت في الفكر الأوروبي ؟ كيف تجاوز فوكو جسدانية ميرلوبونتي الي تأريخ الجنسانية؟

يفرض الجسد عند الفيلسوف الديناصور ميشال فوكو مفهوما جديدا، ويؤكّد في هذه المسألة أنّ هذا الأخير هو نتيجة تحصيل حاصل لثقافة مجتمع ما ولسلطته. فمعرفة الجسد عند فوكو تستدعي تحليل خطاب الثقافة الحديثة نحاول ان نقدم في البحث دراسة تحليلية كيف تجاوزت الفلسفة الفرنسية الجسد ما قبل فوكو والتي صلتنا الضوء علي فكرة الجسد عند ميرلوبونتي باعتبارها مقاربة فينومينولوجية و جودية لمجتمع واحد هو المجتمع الفرنسي الي خطاب جديد للجسد عند ميشال فوكو، ضربا به اسوار السلطة و اغوار المعرفة ، بحيث يستأصل فكرة الجنس منذ الازل البعيد ؟

الجسد ما قبل ميشال فوكو:

الجسدانية و البين-جسدانية ميرلوبونتي.

تعود الجذور الأولى للبحث في مفهوم الجسد الفينومينولوجي " concept du corps " إلى فلاسفة القرن الثامن عشر 18 م هوسرل و هيدغر رغم ان هذه أزمة مفهوم الجسد في الفكر الفلسفي

المعاصر اخدت منحى أخر و بخاصة مع devinas و Merleau Ponty ، بحيث ان إشكالية الجسد في بانوراما فلسفة ميرلوبونتي ابرزت اهم حيثيات الفكر الوجودي و الفينومينولوجي، و كانت أكثر بحثا و تعمقا ، إذا ما هو تصور ميرلوبونتي للجسد الفينومينولوجي ؟ كيف يمكن للإنسان ان يكون جسده؟ إن بداية من التحليل للفلسفة الميرلوبونتية لكنّ الجسد سرعان ما أصبح في علاقة وثيقة مع مفهوم الذات كموضوع للبحث مع الفلسفة الوجودية المعاصرة، التي عملت على تغير الكثير من المفاهيم الفلسفية ودك قلعة الروح، إذ يلاحظ الدارس أنّه على إثر ذلك استغرقت فكرة الجسد أهم البحوث الفلسفية و تحول الجسد من موضوع لا مرئي إلى موضوع مرئي، ومن الغياب إلى الحضور، وتم إخراجه من الهامشية إلي المتن واستجلابه من اللاوعي إلي الوعي.

يبدو و أنّ الاهتمام بفلسفة الجسد قد تزامن مع الحداثة، إذ تتجسّد الملامح الأولى لإعطاء الجسد مفهوما وجوديا غير مفارق للنفس عند الفيلسوف باروخ سبينوزا Baruch Spinoza ، وصولا إلى الجسد الحميمي الخاص عند موريس ميرلوبونتي Maurice Merleau Ponty، فقد كان هذا الأخير أوّل من حلّل وظائف الجسد الرؤية، الحركية، والجنسية ... الخ

لقد ساهمت هذه البحوث الى الوصول لكوجيطو الجسد الذي من خلاله يمكننا سبر اغوار وجود الجسد من جوانب متعددة،

و على هذا النحو نطرح السؤال الأساسي ما هي البنية التصورية للجسد الذات او الخاص عند ميرلوبونتي؟ كيف يتجلى حضوري في العالم هل بجسدي ام بجسدانيتي ؟ ما الذي يربط الجسد الانا و جسد الغير؟

إن من أهم مقولات الفلسفة الحديثة أن التصور النظري فيها لم يكن أبدا مثاليا أو متعاليا، بل لم يكون أيضا واقعيا حسيا بالمعنى التام و لم يكون لا تفكيرا و لا لا تفكير، بل هي محاولة لتفادي السقوط في إشكالية الثنائية –الذات و الموضوع" dualisme du sujet et de l'objet ".

فالفلسفة التي تقول بأسبقية الوجود عن الماهية هي محاولة فهم الإنسان والمعالم لا يمكن أن يستوعبه العقل هي بذلك محاولة معمقة لفهم أيضا الجسد و الروح، الذات و الموضوع . و أساس العلاقة بينهما فتعريف الميرلوبونتية للجسد هو تعريف ميتاانطولوجي « Méta_ontologie » و الذي يبتعد عن إمكانية تزامن الجسد و محور القضية الذات و الموضوع. « On peut arriver à ne pas faire coïncider le corps avec le pivot de l'opposition sujet –objet »[1]

ان في حقيقة البحث عن البنية الجسدية هو بحث مرتبط بصعوبة تركيبها و كيفية عمل وظائفها تزيد من صعوبة الجسد كموضوع للبحث بحيث نجد كل التعقيدات التي تتربط بالموضوعات المادية والتي تضمن هذا الجسد من خلال لارتباطها بالنواحي البيولوجية و الفيزيولوجية للإنسان. لذلك يقول ميرلوبونتي " نحن لسنا وعيا فقط أو موضوعا فقط بل نحن وعيا و

[1] M.M.Ponty, la phénoménologie de la perception, Gallimard, Paris, 1945, P 14

موضوعا معا فينا روحا و جسدا معا"[1] هكذا تستطيع أن تميز أن هذا النوع من البحث يكون بحثا تجريديا، فينومينولوجيا إلى وجوديا للجسد، إلا أن غاية ميرلوبونتي تطوير فينومينولوجيا الإدراك بين حقل الانعكاس Réflexion و اللاتفكير Irréfléchi .هو التواصل الحياة المتعمدة لدينا، التركيب الأخر فينا و منا في الأخر، و هذا يعني أن الذي رآه هوسرل لم يتأمل فيه كفاية مثل الذاتية المتعالية والجسد (التجاوزي).

ان فلسفة ميرلوبنتي هي فلسفة الغموض philosophie de l'ambigüité، فالهدف النظري الأساسي لميرلوبونتي هو تجسيدها في التجربة المعاينة ، ففكرة التي حاول منها ميرلوبونتي حل تناقض الموجود في فبنومنولوجيا الإدراك و هي الكوجيتو الضمني cogito tacite كما هو في كتابه "المرئي و اللامرئي" visible et invisible حيث يري ان كل ما يمس الكوجيطو الضمني هي حالة تحصيل فكرة التفكير Pensée بالمعنى الذي يجعل الفكرة بالرؤية و بالإحساس، اذ يمكن ان نجعل من المعاينة vision aperçue و الوعي conscience هو ضرورة وجود الكلمات (اللغة)[2]

فالفينومينولوجية عنده تقوم على ضرورة العودة الى الخبرة الادراكية و ذلك بالربط بين الادراك la perception و ما هو معيش vécu، إذا فهي العلاقة القائمة بين الوعي و العالم، من هنا تتضح العلاقة التفكير وموضوعه ... بالكوجيتاتوم cogitatum لذى هوسرل.

اوليا نجد ان ميرلوبونتي يضع منحى الالتقاء الانا و الاخر –au-delà de la rencontre duale MOI AUTRUI انها معنية عند هوسرل بالبذاتية المتعالية l'intersubjectivité transcendantal حتى تسيطر فهم التعالي حتى التجربة.

ويعني على نحو التقاطع بين الموضوعات و الأشياء والذي يصير الي التواصل communautisation في هذا بالضبط التقاطع chasme الذاوات بين الاخرين، اي بين النحن و الهم.

يحيلنا مباشرة الى فهم ان العالم المرئي Mondanéité ان مصطلح (الذي لا يتضح مباشرة بالرؤية العادية) نجد ميرلوبونتي يحاول التفكير بين الرؤية فلا معنى للإدراك خارج الرؤية و العين فالرؤية تفتح باب للفهم الخبرة الإدراكية فهناك أسلوب للرؤية المتعالية فالإدراك يؤسلب perception styliste في علاقته بأشياء العالم[3] و ذلك من خلال ربط هذا الاسلوب بالحواس و خاصة حاسة "العين " التي تجسد عملية الرؤية خصوصا على أنها النقطة المجهرية لتأويل و فهم الفكرة المدركة المتعلقة بالجسد.

ورؤيته تقترب من رؤية هوسرلية فينومينولوجيةاذ تعود إلى مبادئ ترنسندونتالية transcendantalisme و التي تتحدد بالتعالي من أجل الذات Sujet و لا تستطع

---

[1] Ibid, P 95

[2] MM Ponty , visible et invisible, Gallimard, Paris, 1964, page 224

3مجموعة مؤلفين، اشراف جمال مفرج، كوجيتو الجسد، دراسات في فلسفة ميرلوبونتي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000، ص 70 -71

فهم الإنسان و العالم بمعزل عنها. باعتبارها تبحث في ماهيات الاشياء أو الصور Eidétique، إن الوعي ليس موضوعا للرؤية المباشرة، فهي ذاتية تستلزم ضربا من التحليل الترنسندنتالي Analyse transcendantal و من خلال العلاقة الداخلية.Le rapport d'une intériorité constituante avec une extériorité intuitive[1]

لكن نجد ميرلوبونتي يختلف في دراسته "للذات" لأن طرحه لم يكن بطرح معرفي، لذلك لا الاسبقية و لا الشروط الممكنة للتجربة الموضوعية لمفهوم الفهم L'entendement يمكن ان يفسر هذا الفهم من خلال تجاوز الرؤية المباشرة و العادية و الرؤية بالحالة الإدراكية المطلقة.

الجسد الخاص Le Corps propre

باعتبار أي بحث في التلازم الفينومينولوجي الذي يستطيع إعادة النظر في أهمية الملاحظة من خلال مفاهيم مختلفة كالرؤية، كالذات، وكموضوع العالم. وسوف نتعرض في هذا البحث إلى نظرية فضاء الجسد الخاص théorie de l'espace du corps propre لميرلوبونتي.

il s'articule comme la carte du visible émanant du " praticable" L'espace est toujours d'un " je peux"corps propre[2]

حيث يعتبر أن لأي إدراك خارجي مرادف لإدراك ثابت لجسدي و أن كل إدراك لجسدي ينطبق عليه ادراك لوعيه و لوعي الذات، تميز الفلسفة الفينومينولوجيا المعاصرة بين و خاصة فكرة ميرلوبونتي الجسد الخاص Corps propre و الجسد الموضوع Corps objet » و التي اعتبرت لأول شرط لإدراك العالم و العالم هنا ليس المقصود بالعالم الطبيعي كمعطيات و أشياء، بل يتخذ العالم أساسا دلالة حين يحيل إلى العالم الإنساني أي التصورات و التفسيرات و العلاقات التي ينسجها الإنسان و بالتي تحقيق الوعي بالوعي مع ذاته و الأشياء و الآخرين، فالوعي إذن دلالة على معرفة الذات بحقيقة ذاتها.

فمقياس المعرفة أن من بين اهم العناصر التي تتحكم في الجسد هو الحركية او ما يسمى الجسد المسافر le corps voyage ببن الذات Ego والاخر Autrui [3]

وبفعل أن التواصل بين التعبير والاستمرارية Continuation وExpression و الاسلوب الذي يمكن تجاوزه في كل لحظة، لان الانقسام بين الأشكال المختلفة تستدعي اشكال متباعدة اخرى ...

---

[1] Henri Fonda, Corps vivant (Commentaire épistémique de la phénoménologie de la perception de Merleau Ponty le Harmattan, 2011, P109.

[2] M M.Ponty, l'œil et l'esprit, folio, Paris, 2006 P 13,

Plus claire il en évoque la possibilité sans l'approfondir.

[3] Catherine Lavoie Marcus, vers une phénoménologie de la danse (une approche Merleau Pontienne) Université Montréal, Canada, 2011, P 17

بحيث يمكن ربط التمييز الجسدانية Corporalité بين خاص Propre من ناحية ولا خاص Non propre من ناحية اخرى

لقد دفع ميرلوبونتي الجسد المحرك [1] Le corps actant إلى ما وراء المحسوس الذي يعبر عن وجود أنطولوجي للعالم المدرك Ontologie du monde perçu و هدفه الأول انطلاقا من أن الإدراك للموضوع ما موجود فعلا، و أن مجال الادراك الحسي يحيلنا إلى مباحث اخرى كاللغة، السلوك، و الخبرة الجمالية فالعالم المدرك، مدرك حسيا بوصفه الحقيقة التي يمكن أن تتأسس عليها خبرات"expériences ". فالوجود الجسدي بالذات لا يكتمل إلا بوجود ذوات أخرى تأسس العلاقة الوجود الذات في العالم مع الآخرين. إذ يرى أن حينما أريد إدراك ذاتي في العالم المحسوس يكون الآخرون متواجدين فيه... إنهم توائمي أو جسد جسدي "chair de ma chair".[2]

نخلص في الاخير ان طرح ميرلوبونتي و طرح وجودي فينومينولوجي للجسد، اذا هو كوجيتو الجسد أي ان كل وجود هو وجود جسدي بالمعنى الميتافيزيقي، الجسد الذات او الجسد الوعي الذي يعي ذاته بذاتها و بجسدها...انه اذا الطرح الذي فتح ابواب الفكر الجسد للانهمام به ، واضفى بوجوده الى السطح ، حتى يستطيع ان يأتي التاريخ بطرح جديد ومغاير للجسد عند ميشال فوكو.

الجسد عند ميشال فوكو

لقد حاول ميشال فوكو من خلال نصوصه الوصول بمفهوم الجسد الي دلالات مغايرة، وقد تم ذلك عبر حفريات المعرفة، والتي يعتبرها هنا تأريخ للجنس داخل المجتمع و لا خارج السلطة، اذا ان هذا الخطاب يستوجب تحليل خطاب الثقافة الغربية.

يلفت انتباه قارئ نصوص فوكو ان هناك عدة مداخل و محاور متعددة، ذلك ان نصوص فوكاوية تنفتح على اكثر من جهة لذلك احاول ان اركز بحثي في هذا المقال المصغر على اهم موضوعات نستهلها:

الرغبة و الجسد الجنس

إن الوعي في الفلسفة الوجودية وعي جسداني، يكشف لنا عن تجربة جديدة لجسدنا، إذ أن تجربة الألم على نحو ما رأينا تجسد معاناة الأنا في جسدها ومن خلال وجودنا تتيح لنا على نحو ما تجربة الرغبة الجنسية اتجاه الجسد الأخر، يبدو أن فرويد كان أكثر اهتماما بالرغبة الجنسية، إذ جعلها تستوعب الوجود بأكمله، فيرى أن هناك اندفاعات وغرائز يمكن أن نعبر عنها فقط بأنها جنسية، فالتحليل الفرويدي يؤكد على أن هذه الميول الجنسية تساهم بقسط لا تستهان بها في إبداعات العقل البشري، إذا هي القوة الإبداعية للإنسان يعني قوة اللاوعي في صناعة الإبداع، وهذا ما يسميه بالليبدوLibido فالأعمال الفنية مثل لوحة الجيوكندا La Joconde للفنان

[1] Jacques Fontanille, corps et sens, P U F, Paris, 2011, P11

[2] M. M. Ponty, Signes, op cit, P 22.

ليوناردوديفنشي Leonardo de Vinci أرجعها فرويد إلى غرائز جنسية لاشعورية تعود إلى مرحلة طفولته فيقول:" فالمرحلة التي تنتكص إليها الليبيدو والنزوة المرتبطة بها في اللاوعي... حيث تسعي دائما لتحقيق الإشباع، نجدها كامنة في الجسد[1]. أما الرغبة الجنسية عند سارتر تدخل ضمن علاقة الأنا بالأخر، إذ تحاول الأنا أن تجعل من جسد الأخر شريكا لحريته.

تعرف العلاقات الاجتماعية مع الأخر في أكثر الأحيان بالتصادم وذلك لتصادم المصالح الشخصية وبما أن الإنسان أناني بطبعه ويؤثر أي رغبة لنفسه دون غيره، فيؤدي إلى تشابك سلوكات جسدي comportement corporel مع سلوكات الجسد الأخر من خلال محاولة تحقيق الرغبات الجسمانية المختلفة، تتضح العلاقة بين الأنا اتصال بين وحدتين Deux unités يبعضها البعض حيث أن فعل الاتصال يتكون من مرسل Expéditeur ومستقبل Récepteur يحمل معاني ودلالات محددة، فالوظيفة الجنسية للجسد تدخل في إطار الخبرة المعاش وعلاقته مع الأخر، فالمشاركة الجسدية بدمها ولحمها موضوع ومركز الوجود، إذ أن جسد الغير وجسدي يلدان معا من الوجود الأصلي، إن معادلة الجسد تجتمع فيها مفارقات Paradoxes، من الذات والموضوع، الأنا والأخر، فالإرث الهيغلي يتجسد في نقط الجدل والصراع بين العبد والسيد من جهة، ومن جهة أخرى التركيب الجسدي بشكله المثير لرغبة الأخر يحمل معاني الألم والمعاناة، فمنع فتاة مثلا أوشاب من رؤية محبوبه، يجعله يفقد القدرة على النوم والشهية وحتى اضطرابه في استعمال اللغة، فالقبلة هي نمط من العلاقة بين الأخر متجسدة لا مجرد وجود جنسي sexuel[2]. إن إشكالية الجسد هي في النهاية إشكالية الإنسان، فمستحيل أن نفهم الجسد دون أن نعود إلي جوده وكينونته، ودون أن نعود أيضا إلي جسدانيته، فالجسدية كوعي وتجسد للأفعال الجسدانية المختلف كالرغبة الجنسية" فلا يكمن نكران واقعية الرغبة الجنسية للجسد الراغب... اتجاه الجسد المناسب للشخص المرغوب فيه"[3]. إن الرغبة الجسدية لا تسعى فقط للحصول على النشوة أو اللذة الجنسية "الاورجازم" orgasme كما تصورها فرويد. فبيتر فليتشر Pitre Fletcher يرى أن كل الرغبة الجنسية هي " البحث عن الحب إنما هو بحث لمعرفة الذات ورغبتنا في الحب هي رغبتنا لان يُعتَرف بنا لا من اجل ما نفعل، ولكن من اجل ما نكون، والرغبة ما هي اجتياح يرى المرء حقيقته في حقيقة الشخص الأخر ونفس الفكرة نجدها لدى برديف Berdiaev ، أن معنى اتحاد الرجل والمرأة ليس سبب استمرار النوع، ولكن سبب نمو شخصية الإنسان ورغبته الجامحة لبلوغ الكمال والخلود..."

فالعلاقة الجنسية Le rapport sexual مع الأخر لا هي الليبيدو Libido الملتهبة الجامحة والمتعطشة لشهوة الجنسية، بل إن علاقتي بالأخر تجعلني أدرك ذاتي من وجوده وهو يدرك ذاته

---

[1] دورالف رزق الله، فرويد والرغبة، دار الحداثة للطباعة و النشر، 1986، ص 56-58.

[2] M. M. Ponty, le visible et l'invisible, op cit, P24-28.

[3] Maria Mechila, Penser le corps Gallimard, Paris , 2011 , P95,.

من وجودي أنا، فهي نموذج من نماذج علاقات متعددة تربطنا بالوجود، يمكن قول أن كل وظيفة الجنسية تملك رغبة جامحة اتجاه الأخر هي استكمال وجودي بوجوده أن هذه الوظيفة ما هي تعبير عن وجودي الجسدي... [1]

من خوف الموت وسلطة الجنس فالجسد بؤرة تناقض بين القوة والمتعة وبين عناء المرض، والعجز والموت، إذ كان الجسد يمثل جل المقاربات الفلسفية والدينية التي كانت تتناوله كمفهوم سلبي غير مكتمل في علاقته بالنفس فتكون تراتبية تهيمن عليها الروح الخالدة على سطوة الجسد الذي تحكمه النهاية الأبدية، تعني أن تصور الجسد انجذاب نحو الأسفل، أي نحو الخضوع للشهوات.

فهذا الجسد يمثل جسد الأعمى Le corps aveugle، هو عورة الأعضاء التناسلية عند الإنسان باعتبارها منطقة الرغبة وطلب الشهوة، فلذلك يجب أن نحكم عليها بالمراقبة والقمع تحت سلطة المقدس Le sacré والحرام -L'interdit- هكذا تجسدت فكرة خطيئة الجسد الكلاسيكية التي ترسم فكرة الموت كقهر لهذا الجسد الذي عاش في دنس لطلب الملذات التي تعتبر تحت أي تصور ديني خطيئة.

نجد نيتشه من خلال كتابه "هكذا تكلم زرادشت" اعتبر أن الموت هو موت الجسد، فالميت هو الذي يغادر الأحياء، فالوداع الأخير يكون للجسد الجثة Le corps cadavre لا للروح لأنها غير ظاهرة للعيان فالجثة هي الشهادة الصميمية الساخرة على وجود مبتور فالموت عند هيدغر كفعل أو حادث وجودي للإنسان الذي يشير إلى أن وجود الإنسان ما هو إلا وجودا إلى الموت -sein-sumo tod بالمعنى الانطولوجي لا كموجود من جسد ولحم[2].

لم يهتم هيدغر بفكرة الموت كظاهرة بيولوجية Comme une Phénomène Biologique ، بل كفكرة تثير القلق في الذات، حيث أن كل ذات تعيش فكرة الموت من خلال الجسد الأخر، فتحاول جاهدة إخفاء ذاتها عن الموت، ولكن الوجود الأصيل موضوع دائم أمام الموت باعتباره قريبا، كما انه يدرك في كل لحظة نتيجة العبث المطلق لكل تحقق وبطلان كل ما يمكن أن يوجد بوصفه شيئا واقعيا[3].

في النهاية إن الخوف Peur من الموت Morte هو خوف أن يفضح الجسد مما كان يود إخفاءه عن التفكير اللاهوتي شاهدا على هذه الوظيفة اليومية للجسد التي تربط بين السمات الجسدية والخصائص النفسية والأخلاقية التي تكون الأخلاق العليا Morales والأخلاق العملية Ethiques من خلال الممارسات المختلفة الأفعال الميدانية، فالألم Douleur هو من البواعث الأولية لفكرة الموت التي يؤكد عليه Maria Michaela في مؤلفه "Penser le corps" من خلال دراسة الألم المعاناة والعجز Douleur, souffrance et infirmité، فالألم كنقيض للذة هو إحساس غير

---

[1] Ibid., 95-96

[2] حبيب الشاروني، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ، دار التنوير 2009. ص 174.

[3] عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 92.

محتمل، بشع Désagréable، هو استجابة لتجربة انفعالية[1]. هذا التناهي الفكري لكوجيتو الجسد دشن دراسة الجسد من جوانب متعددة وصلت إلي حد منحه السلطة بعد ميرلوبونتي لدى جاك دريدا Jaque Derrida وميشال فوكوMichel Foucault وجورج بتّاي George Bataille، احترنا ميشال فوكو نموذجا، الذي دشن مشروعه الفلسفي انطلاقا من طرح ميرلوبونتي للجسد إذ ختم كتابه les mots et les choses "الكلمات والأشياء" بعبارة: "إن الثقافة الحديثة أصبحت بإمكانها التفكير في الإنسان، لأنها تفكير المتناهي انطلاقا من نفسه[2]. فتحليلاته للجسد تفرض المنظور الطبيعي Naturalisme القائل أن الجسد بنية ثابتة، بداية تكون بمعرفة البنّى الثقافية للمجتمع، التي تعبر عن نتيجة محتملة حول خطابه للجسد، فالجسد عند فوكو نتيجة للثقافة المجتمع وسلطته وذلك من خلال تحديده لمصطلحين المعرفة le savoir والسلطة le pouvoir وموقع الجسد بينهم، وله انتاجات فلسفية طرقت مواضيع متعددة حتى في المجال الابستمولوجي للحفريات المعرفية منها: "إرادة المعرفة" و"تاريخ الجنون في عصر الكلاسيكي" Histoire de la folie à l'âge classique، أما أفكار الجسد، الجنس، الرغبة والشذوذ...الخ، قد تناولها في كتابه الثلاثي الأجزاء "تاريخ الجنسانية"Histoire de la sexualité" فالجسد عند ميشال فوكو هو الموضوع الرئيسي لعصب السلطة، إذ لم يتعرض لدراسة الجسد خارج النهج التاريخي، حيث انه لا يمكن إثبات وجوده إلا من خلال خضوعه للسلطة التامة، فهو إذا بعبارة أدق موطن لممارسة السلطة ومراقبتها، هذه التحليلات تتبعها بالترتيب في كتابه المراقبة والمعاقبة" "Surveiller et punir"، إذ يأتي أيضا اهتمامه بالجسد من خلال انخراطه في البنية السلطوية القائمة تاريخيا كإستراتيجية تنطبع في الأجساد كهدف وأداة في نفس الوقت، فهولا يكتسب شرعيته، ولا يقبل، ولا يعترف به إلا إذا اعترفت به السلطات العامة[3]. إن الحداثة بكل آلياتها تربط الجسد بتكنولوجيات السلطة المثبتة في المؤسسات كما أشار إليها، فالجسد لا يصبح قوة نافعة إلا إذا كان جسدا منتجا وجسدا مستبعدا في نفس الوقت وهذا الاستبعاد لا يتم الحصول عليه بواسطة وسائل العنف، ومع ذلك انه يمكن أن توجد معرفة الجسد. فالجسد لا يكون بالتحديد علم بكيفية اشتغاله والسيطرة على قوه، اشد من القدرة على دحضها، فهذه المعرفة السلطوية يمكننا تسميتها بالتكنولوجيا السياسية للجسد[4] يبدو أن الجسد عند ميرلوبونتي انحصر في وظائف تبدو أنها وظائف عمومية عند فوكو فهو جسد مجرد ، أما الجسد عند فوكو هو المنتج corps produit ، اقتصاديا، كجسد يخضع لسلطة المراقبة هو جسد سجين ومعذب هو جسد مستغل في الاقتصاد والسياسة. ومن خلال كتابه L'histoire de la sexualité الذي يعبر عن وجهة نظر تاريخ الخطابات Histoire des

[1] Michel Foucault, l'histoire de la sexualité, la volonté de savoir, Gallimard 1994, Paris, p92

[2] Michel Foucault, les mots et les choses, Gallimard d, 1966, Paris, p 329.

[3] عبد العزيز العيادي، المعرفة و السلطة، المؤسسة الجماعية للدراسات، 1994، ص 90.

[4] M. Foucault, Surveiller et punir, Gallimard, Paris 1975, p 31.

discours تمهيدا بالفرضيات العامة للعمل، فكر مجتمع متقدم يطرح بطبيعة الحال الرأسمالية Capitalisme و البرجوازية Bourgeoise ، فالجنس بالنسبة لفوكو هو ان لا يسجل فقط تبعا اقتصاد المتعة Economie du plaisir بل في مجال طبيعي للمعرفة، هكذا يصبح الجنس شيئا فشيئا موضوع ريبة للحياة الانسانية[1] .

حاول فوكو في بحثه تسليط الضوء على كل من (السلطة، الجنون، الخطاب، المعرفة، السجن، المرض، المراقبة، الجنس، التاريخ، الشذوذ، المعاقبة....) إذ لم يخرج بها عن نسق حفريات المعرفة، أي محاولة ابستمة هذه القيم الإنسانية على مقاييس علمية، لذلك كان الجسد هو الرهان الأكبر لكل سلطة حيوية Biopouvoir كونها ممارسة حيوية تحافظ على نظام معين، فمراقبة أجساد الإفراد لتنظيم سلوكاتها، مثلا من الناحية الجنسيةLa sexualité نجد ان حقيقة الجنس هو ربط بين استراتيجيات Stratégies السلطة الحديثة بتطور مكنيزمات Mécanismes فكرية لما بعد الحداثة Poste modernité.

ان المسألة التي نطرحها هنا تتعلق اساسا بالتحول الذى عرفه فكر فوكو، استمرارية في التفكير والاهتمام، مما يجعلنا نقر انه اراد ان يؤكد ان الاهتمام الذي يوليه لمسألة الذاتية، ان الاهتمام بالذات جاء في سياق تاريخ "للجنسانية"، اذ أصبح هاجس فوكو محاولا معرفة الفجوة بينها واستكشاف الغموض، والوقوف عند فكرة الجنسانية التي ظهرت حديثا في بداية القرن 19، إذ يحاول فهم نمط تشكل التجربة الجنسية وممارستها، فالجنس كما يرى فوكو هو محاولة معرفة تطور نظر الغرب لهذه الوظيفة، واكتشاف مناطق اللاوعي من خلال بحث أركيولوجي خاص ، حتى يمكن أن تتجلى حقيقة الذات الغربية من خلال جنيولوجية المعرفة Généalogie du savoir وكذا بنية السلطة Structure du pouvoir ، فالحداثة بكل آلياتها إنّما تربط الجسد بتكنولوجيات السلطة المثبّتة، معتبرا إيّاها أداة التفعيل، وهي تخترق كل المؤسسات، وحتى الجسد الفردي[2] البيولوجي منه أو الثقافي. مع ظهور الرعاية الذاتية في التفكير الفلسفي... يسعى لإثبات أن الرعاية الذاتية قد بدأت تظهر في التفكير الفلسفي مع سقراط. ويذكر على الفور أن "العناية بالذات" Le souci de soi حتمية "لا"من البداية ومن خلال الثقافة اليونانية ، كانت هناك تعليمات للفلاسفة. هذا مبدأ "الاعتناء بالنفس". فالجنسانية تتمثل في تحديد السلوكات الجنسية ، ووضع قوانين للجنس كسلوك حيوي جسدي، مما يقضي استعباد كون الجنسانية من معطيات الطبيعة بل انها تحدد الإطار التاريخي، فوكو يسكن أولا في لحظة سقراطيه و أفلاطونية[3] بل بفعل الخيال الانساني وبأليته الجنسية.

[1] M. Foucault, histoire de la folie, à l'âge classique, Gallimard, Paris 1972 , P 44

[2] M .Foucault, l'histoire de la sexualité, L'usage de plaisirs, Gallimard, Paris, 1984, P8

[3] Ibid., PP205-206.

C'est le sexe, point imaginaire fixé par le Dispositif de sexualité حيث شن فوكو هجوما مضادا على جنسانية مسيحية التي جعلت من الحضارة في الغرب حضارة اعتراف Reconnaissance، اعتراف يرافقه التعذيب كظله، وذللك في اطار بحثه عن الحقيقة، حيث يقول : ما انا ملزم به في النهاية ...هو مهمة ابراز العناصر التي تمكنها ان تفيد في تأريخ الحقيقة، [1] عندما بين ان الاركيولوجية يكمن ان تهتم ليس فقط بالوضعيات Les disciplines ، بل بالممارسات الانسانية مثل الجنس والاخلاق، اذ لم يتم طرح هذا الموضوع، الا بعد ان وفرت له الدراسات السابقة التي وضعها حول المعرفة والسلطة باعتبارهما محركان اساسيان للحقيقة عنده...فاذا كانت السلطة الرعوية تهدف الي قيادة الناس بالاهتمام بسلوكاتهم وافكارهم، بغية المرور تطوير ثقافة العيش لدى المجتمعات الاوروبية،

ان هذه السلطة في الحياة التي تمثلت داخل المجتمعات القديمة تستبل بما يسميه بسياسية الحيوية Biopolitique جديدة وذلك عندما سمحت الدولة لنفسها التدخل في الحياة و طريقة الحياة ومستوى الحياة والتحكم في كل شيء.

لا يمكننا الاجمال بكل افكار فوكو الفلسفية اعتبارها موسعة وعميقة ومستجدة اخدت المنحى البنيوي، اذ يعتبر كما سبقت وذكرت اي كما اطلقوا عليه الفيلسوف "الديناصور" فهو من الاكثر الفلاسفة حضورا ومتابعة ، وان رحل فانه يحضر بجسده الاخر نعني هنا كل اعماله.

خاتمة

ان الجسد مر بمراحل تاريخية، فكرية و ثقافية مختلفة، فكل مرحلة اخدت في تغيير صناعة فكر الجسد للمرحلة التي أتت بعدها، ومع ذلك نلاحظ اختلاف بين التحليلات الفينومينولوجيين الفرنسيين، كسارتر، مين وديبران وكذلك بونتي لتفكيك وجودية الجسد، حيث انه انصب الانتقاد الأول اتجاه تخوم الذات الواعية المتعالية، فكان الجسد وعي متجسد لتفكير الإنسان انطلاقا من تماهيه الخاص ووعيه بجسده، وبذاته من خلال طرح فلسفي لميرلونونتي فكل من الرؤية، الحركية، الرغبة والجنس، تصورات اخذت كل اهتماماته لفك لغز الجسد.

فتأريخ الجسد والجنس عند ميشال فوكو، بأفكاره الردعية كنتشه، حيث اعتمد فوكو في اكثر من نص او عمل على ادوات لتحليل الانسان بتشريحه، وبالاقتراب من حقل اللاوعي او الجنسانية بالمفهوم الحفري للمعرفة الحقيقية و تعريت الجنس من خلال أليات السلطة، بالرجوع لمعنى البنية بتحليل ادوات بناء الخطاب.

[1] Ibid. P8.